منهج أبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) في كتابه (اللامات)

عبدالله محمد حيّاني

أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة الملك فيصل - الأحساء

المقدمة:

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، وجعل العلم سلماً لمعرفته، وطريقاً لمرضاته. والصلاة والسلام على خير مَنْ نطق وأبان، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه على الدوام. وبعد:

ففي خضم العمل الأكاديمي في عدد من الجامعات العربية، مع ما لكل منها من توجه ولون، وما تضمه من مشارب لغوية شتى، ورؤىً متباينة إزاء الدراسات اللغوية؛ القديمة والحديثة منها، أرى أن تراثنا اللغوي القديم ما يزال بريقه ساطعاً، يقبس منه التراثيون والحداثيون معاً، ولكن بقراءة مختلفة. وفي العموم لا نقف على غامز من قناة آثار أساطينه الأُول؛ فالحداثيون لا يبخسون الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) وسيبويه (ت نحو ١٨٠هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) وغيرهم علومَهم، بل يقصدون عدم قصر علوم اللغة على ما صنعه أولئك الأبرار، وأن تتطور الدراسات اللغوية كغيرها من الدراسات الأخرى، وأنَّ ما قدمه أعلامنا الأوائل طَلْعَة في زمانهم، وامتدت آثاره إلينا. وما من ريب في أنَّ مَن أتى بعد سيبويه والكسائي تطرق إلى ما لم يتطرقا إليه؛ على نحو ما نجده في آراء ابن جني (ت ٣٩٢هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) وغيرهم، وهذه طبيعة العلوم في التطور.

وفي عصرنا الحاضر انقسم معظم اللغويين إلى فئتين؛ الأولى: فئة حصرت علومها وآثارها العلمية في الدراسات القديمة، فلا تحيد عنها، وتنظر إلى الدراسات الحديثة بريبة وخشية، فلا تخطو في معرفة حقيقة تلك الدراسات أيَّ خطوة. أمَّا الفئة الثانية فترى أنَّ التراث قد أُشبع بحثاً، وأنَّ الحياة المعاصرة لا تكفيها دراسات القدماء مع مالهم من جهود غير منكورة، فحبسوا جهودهم في المذاهب الحديثة، وغضوا الطرف عن كثير من الأصول اللغوية الأصيلة. وفي سنِيّ عمري في التدريس الجامعي ومعرفتي بكثير من الزملاء المنتمين لهذا المذهب وجدت عند معظمهم مسافة تفصل بينهم وبين الكثير من ثوابتنا اللغوية، ولَّدت لديهم الرغبة عن الدراسات القديمة. والذي أراه أنَّ التقعيد العلمي التراثي أساس في الباحث اللغوي ثم الولوج إلى

الدراسات الحديثة وسبر غورها للإفادة منها والوقوف على مواطن الزلل فيها، وهذا ميزان في المعرفة اللغوية الناضجة، وإنَّ الدراسات اللغوية العربية المعاصرة تفتقر إلى تلك المواءمة الإيجابية بين القديم والحديث إلا في القليل النادر.

ومن هذا القليل الجهود المباركة للعلاَّمة تمام حسَّان ورمضان عبد التواب، وغيرهما قليل.

إنَّ ميادين البحث اللغوي ما تزال رحبة في الاتجاهين: القديم والحديث. وفي أثناء قراءتي كتاب (اللامات) للإمام أبي القاسم الزجَّاجي (ت ٣٣٧هـ) رأيت أنه ثري المعلومة، وافر الفائدة، وقد اجتمع فيه فضلان: ثراء المادة العلمية، ومكانة المؤلف رحمه الله.

وليس الزجاجي أول مَن صنف في اللامات، فقد سبقه إلى ذلك أبو زيد الأنصاري الخزرجي (ت ٢١٠هـ)[١]، وابن كيسان: أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٣٢٠هـ)[٢]، وأبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)[٣]. وأفرد الحديث عن اللامات في القرآن الكريم بعد الزجَّاجي أبو الحسين أحمد ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)[٤].

وكتاب الزجاجي جامع؛ تحدث عن اللامات بعامة، فوفَّاها حقها من الدرس. وكان من بواعث دراسة منهج الكتاب أنَّ محققه العلاَّمة مازن المبارك اكتفى بالكلام على الهيكل العام للكتاب؛ من حيث عدد اللامات وتوزعها على أبواب ونحوه، ولم يتعرض إلى منهج المؤلف في عرض المادة العلمية، فرأيت أنه من تمام الفائدة أنْ أقوم بما آثر به الدكتور المبارك تلاميذه ومحبيه على نفسه من هذا العمل؛ فقرأت الكتاب غير مرة قراءة فحص وتدقيق، واستعنت بالله على عرض منهج مؤلِفه فيه؛ فقدَّمت للبحث بترجمة للمؤلف، ثم عرَّفت بالكتاب.

وتوزع الكلامَ على المنهج عشرةُ مباحث؛ هي: عبارة الكتاب، الأبيات الشعرية، الآيات القرآنية، الحديث النبوي الشريف، لغات العرب والأمثال والمصطلحات، العلل، المسائل، النقد، مصادره، ملامح عامة. وأردفت البحث بخاتمة موجزة، ثم أعقبتها بملخص للبحث. وصنعت ثبتاً بمصادر البحث ومراجعه، وأعقبته بكشّاف لمحتوى البحث.

والله تعالى أسأل أنْ يعصم القلم عن الزلل والفكر عن الخلل، وأن يكون ما كتبته قربة إليه تعالى، وأن يعاملني بكرمه وفضله إنه جواد كريم.

الترجمة

مصادر ترجمته ومراجعها

- ذيل مولد العلماء، لأبي محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني (ت ٤٦٦هـ)؛ تحقيق عبدالله أحمد سليمان الحمد ٠- ط١ ٠- الرياض : دار العاصمة بالرياض، ١٤٠٩هـ، ص ٧٠.
- تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر: علي بن الحسين الشافعي (ت ٥٧١هـ)؛ تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمري ٠- بيروت : دار الفكر، ١٩٩٥م(٣٤: ٢٠٢-٢٠٤).
- إنباه الرواة على أخبار النحاة، لجمال الدين علي ابن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٠- ط١ ٠- بيروت : المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م. (٢: ١٦٠-١٦١).
- العِبَر في خبر مَن غبر، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)؛ تحقيق صلاح الدين المنجد ٠- ط٢ ٠- الكويت : مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م. (٢: ٢٦٠).

- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ٠- ط٩ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ. (٥: ٤٧٥-٤٧٦).
- البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ٠- بيروت : مكتبة المعارف (١١: ٢٢٥).
- البلغة، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)؛ تحقيق محمد المصري ٠- ط١ ٠- الكويت: جمعية إحياء التراث في الكويت، ١٤٠٧هـ، ص١٣١.
- النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ٠- مصر : وزارة الثقافة (٣: ٣٠٢).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٠- المكتبة العصرية: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.(٢:٧٧).
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)؛ تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ٠- ط١ ٠- دمشق : دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ. (٢: ٣٥٧).
- الزجاجي: حياته وآثاره ومذهبه النحوي، من خلال كتابه (الإيضاح) لمازن المبارك ٠- ط٢ ٠- دار الفكر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

اسمه ونسبه:

هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، نسبة إلى شيخه أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت ٣١١هـ).

مولده ووفاته:

ولد في الصيمرة، وقيل في نهاوند، وكلاهما جنوب همذان من بلاد فارس، ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته. أمّا وفاته فكانت في طبرية، فيما بين (٣٣٧هـ) و(٣٤٠ هـ).

ولعل أقربها للصواب الأول.

حياته:

نزل الزجاجي بغداد، ولزم شيخه أبا إسحاق الزجاج، وبه عُرف. ورحل إلى دمشق وحلب ومكة وطبرية، معلّماً ومتعلماً، باعثه على ذلك خدمة العلم تحصيلاً وإفادة، وهذا أمارة على إخلاصه للعلم وانكبابه عليه.

عرف بتواضعه وإخلاصه وحسن دينه.

شيوخه:

يعدّ أبو إسحاق الزجّاج سيّد شيوخ الزجاجي، نظراً لطول ملازمته إياه. وكان له من الشيوخ كثير، منهم: سليمان بن محمد البغدادي، المعروف بأبي موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ) .

ومحمد بن العباس اليزيدي (ت ٣١١هـ)، وابن السرّاج: أبو بكر محمد بن السري بن سهل (ت٣١٦هـ)، وأبو بكر الأزدي: محمد بن الحسن بن دريد، وأبو بكر الخيّاط: محمد بن أحمد بن منصور (ت ٣٢٠هـ)، وأبو الحسن علي بن كيسان (ت ٣٢٠هـ).

وأبو جعفر الكاتب (ت ٣٢٢هـ)[٥]، ونفطويه: إبراهيم ابن محمد الأزدي (ت ٣٢٣هـ)

وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ)، وأبو جعفر بن رستم الطبري، وأبو عبدالله الحسين بن محمد الرازي، وأبو علي الحسن بن علي العتري، وغيرهم.

تلاميذه:

أفاد من علومه كثيرون، ومن أقطار عدة، ومنهم: ابن شرام النحوي: أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ)، والحسين بن عبدالرحيم بن الوليد

الكلابي[٦] (ت ٣٥٤هـ)، وابن الطحان: أحمد بن محمد بن سلامة الستيتي الدمشقي[٧] (ت ٤١٧هـ)، وسليمان بن محمد الزهراوي[٨]، وأحمد بن علي الحبال الحلبي، وعبدالرحمن بن عمر بن نصر، ومحمد بن أبي نصر الدمشقي[٩].

مؤلفاته:

ذكر مازن المبارك في كتابه (الزجاجي: حياته وآثاره ومذهبه النحوي، من خلال كتابه (الإيضاح) جميع مؤلفات الزجاجي، مع التعقيب على كل منها، وهي: كتاب الجمل والأمالي، والإيضاح في علل النحو، وشرح مقدمة أدب الكاتب، ومختصر الزاهر، وكتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر، وكتاب اللامات، وشرح كتاب الألف واللام للمازني، والمخترع في القوافي، وكتاب الهجاء، وكتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه، وكتاب معاني الحروف، وشرح رسالة كتاب سيبويه، وكتاب غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين، والإذكار بالمسائل الفقهية ومسائل متفرقة، والأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها.

التعريف بكتاب اللامات:

أفرد الزجاجي كتابه للحديث عن حرف اللام في العربية؛ معانيها وأحكامها.

توزع الكتابَ مقدمةٌ وأربعة وثلاثون باباً، تلاها كلامه على مسألة من القرآن الكريم، ثم خاتمة موجزة.

أما مقدمته فذكر فيها أنَّ «هذا الكتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجلَّ، ومعانيها وتصرفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف»[١٠].

ثم ذكر اللامات التي عرض لها في كتابه؛ وهي إحدى وثلاثون لاماً (اللام الأصلية، لام التعريف، لام الملك، لام الاستحقاق، لام كي، لام الجحود، لام إنَّ، لام الابتداء، لام التعجب، لام تدخل على المقسم به، لام تكون جواب القسم، لام المستغاث به ولام المستغاث من أجله، لام الأمر، لام المضمر، لام تدخل في النفي بين المضاف والمضاف إليه، لام تدخل في النداء بين المضاف والمضاف إليه، لام تدخل بين الفعل المستقبل لازمة في القسم ولا يجوز حذفها، لام تلزم إنَّ المكسورة إذا خُففت من الثقيلة، لام العاقبة ويسميها الكوفيون لام الصيرورة، لام التبيين، لام لو، لام لولا، لام التكثير لام تزاد في عبدل وما أشبهه، لام تزاد في لعلَّ، لام إيضاح المفعول لأجله، لام الشرط، لام توصل الأفعال إلى المفعولين وقد يجوز وصل الفعل بغيرها) وجعل الكلام على كل لام في باب مستقل، اللهم إلا «لام المستغاث من أجله» فقد تحدث عنها في الباب الثاني عشر في كلامه على «لام المستغاث به» ولم يغفل ذكر كلمة «باب» إلا في «لام التعريف»[١١] ولعله ذكرها ولكن أسقطها النسَّاخ. وهو أردف الكلام عليها بذكر ثلاثة أبواب ذات صلة بها؛ هي:

- باب ذكر ما يمتنع اجتماعه مع الألف واللام اللتين للتعريف وما يمتنع إدخاله على هذه الألف واللام وذكر معاني «الآن» وعلة بنائه[١٢].
- باب في تبيين وجوه دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة في الأفعال[١٣].
- باب ذكر المذهب الذي ينفرد به الكوفيون من دخول الألف واللام بمعنى «الذي» على الأسماء المشتقة[١٤].

وأعقب حديثه على اللامات بعقد ثلاثة أبواب تتعلق

باللامات بعامة؛ وهي:

- باب معرفة أصول هذه اللامات وبيان تشعبها منها[١٥].
- باب أحكام اللامات في الإدغام[١٦].
- باب في مسائل اللام نختم به الكتاب[١٧].

أما المسألة من القرآن الكريم فكانت قوله تعالى (وإنْ كان مكرهم لتزولَ منه الجبالُ)[١٨].

وكانت خاتمة الكتاب قوله: «تمَّ الكتاب والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين محمدٍ نبيه، وعلى أهل بيته الطيبين، صلاة دائمة زاكية إلى يوم الدين. وحسبنا الله ونعم الوكيل»[١٩].

حقق كتابَ اللامات العلامةُ مازن المبارك - متعنا الله بعمره وعلومه - معتمداً نسخة وحيدة جيدة، وأظهر الكتابَ إلى النور في سبع ومئتي صفحة من القطع المتوسط. افتتح الكتاب بمقدمة، ثم تحدث عن حياة الزجاجي، ثم مؤلفاته، وأعقب ذلك بالتعريف بالكتاب في صفحتين ونصف الصفحة. ثم وصف النسخة التي اعتمدها، مردفاً ذلك بعرض منهجه في تحقيق الكتاب مع صورة عن الصفحة الأولى من المخطوطة وكذا الثانية والأخيرة.

وصنع في عجز الكتاب فهارس فنية للآيات والشواهد والأعلام والمراجع التي أفاد منها في تحقيقه، وختم الكتاب بمسرد لموضوعاته.

طُبعَ الكتاب في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة تسع وثمانين وثلاثمئة وألف للهجرة النبوية الشريفة (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) وكانت هذه الطبعة الأولى، ثم طبعَتْه دار صادر في بيروت طبعة ثانية سنة اثنتي عشرة وأربعمئة وألف للهجرة (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) بإذن من مجمع اللغة العربية بدمشق.

منهج الكتاب

عبارة الكتاب:

اتسمت عبارة الزجاجي بالوضوح والبعد عن الألفاظ الغريبة، وهذا ما عرف عن المؤلف في مؤلفاته الأخرى. وهذا المسلك خدم القصد التعليمي في كتاب اللامات، فالقارئ فيه لا يجد عنتاً في الوصول إلى ذلك، ففضلاً عن وضوح العبارة وتلقيها من القارئ دون جهد، نجد المؤلف يكثر من أفعال الطلب في معظم المسائل التي يقررها، نحو قوله في «باب لام إنَّ»: «اعلم أن لام إنَّ تدخل مؤكدة للخبر، كما تدخل إنَّ مؤكدة للجملة...»[٢٠] وفي كلامه على «لام المستغاث به» يقول: «واعلم أن لام المستغاث به عوض من الزيادة التي تقع آخر المنادى المتراخي عنك»[٢١].

ويستخدم الفعل الطلبي «افهم» فانظر ذلك في «باب اللام التي تلزم إنْ المكسورة الخفيفة من الثقيلة «حيث يقول في التخيير بالإتيان في اللام وحذفها في الخبر: «كقولك: إنَّ زيداً لقائم، وإنَّ زيداً قائم، لأن اللبس قد زال، وذلك أنها إذا ثقلت لم يكن لها معنى في النفي، فافهم ذلك»[٢٢] ومن مظاهر الأسلوب التعليمي الذي انتهجه الزجاجي تفسيره بعض الضمائر فقد جاء في «باب ذكر اللام الأصلية» قوله: «وأمَّا الفرَّاء فعنده أنَّ اللام في إلا في الاستثناء أول الكلمة، وموقعها موقع فاء الكلمة، وهي عنده - أعني إلَّا - مركبة من حرفين»[٢٣] ونحوه قوله في باب لام إنَّ»: «وأما سؤال من قال: هلا اكتفي بتوكيد إنَّ وحدها، فقد مضى الجواب عنه، وهو أنها - أعني اللام - زيادة في التوكيد وتشديد له»[٢٤].

وخدم القصد التعليمي تقديره أسئلة والإجابة عنها تقريراً للقاعدة التي يعرضها أو للمعنى المراد، وفي

ذلك صيانة لذهن القارئ عن الخلل في التمييز بين المتشابهات. وانظر تقريره لزوم اللام في الخبر لا الاسم حيث يقول: «فهلا جُعلت اللام في الاسم وإنَّ في الخبر ؟ قلنا: ذلك غير جائز لعلتين: إحداهما: أنَّ (إنَّ) عاملة، فلو جُعلت (إنَّ) في الخبر كان يلزم أن يتقدم اسمها عليها منصوباً، وذلك غير جائز فيها لضعفها وامتناعها من التطرف. والأخرى أنه لو نُصب بها ما يليها ورُفع ما قبلها كان قد تقدَّمها مرفوعها وجُعل منكوراً. وخبرها معروفاً، وكل ذلك غير جائز فيها، فجُعلت (إنَّ) في الاسم لتنصبه ولا يبطل عملها، وجُعلت اللام في الخبر لأنه موضع قد يقع فيه مالا تؤثر فيه (إنَّ) نحو الفعل الماضي والمستقبل وحروف الخفض والجمل»[٢٥].

الأبيات الشعرية:

التزم المؤلف في كتابه ذكر الأبيات الشعرية تامة، لا الاقتصار على موطن الشاهد فيها، اللهم إلا في بيتين اثنين من مجموع الأبيات التي ذكرها في كتابه، وهي ثلاثة وتسعون بيتاً. والبيتان المستثنيان هما ما نسبه إلى عدي:

..... **يسمو إلى أوصالِ ذَيَّالٍ رِفَنّ**[٢٦]

والآخر قوله:

..... **ولكنني من حبِّهَا لكميدُ**[٢٧]

أما صنيعه في بيت جرير حيث يقول: «وقد ورد بيت جرير بالرفع:

..... **فويلٌ لتَيم.....**»[٢٨]

فليس من هذا القبيل لكونه ذكر البيت بتمامه قبل، لكن بالفتح:

كَسَا اللؤمُ تيماً خُضْرةً في جلودِهَا

فويلاً لتيمٍ من سرابيلِهَا الخُضْرِ[٢٩]

أما عزو الأبيات لقائليها فلم يسر فيه على سنة واحدة، فتارة يعزو ويهمل العزو تارة أخرى. فمن عزوه قوله: «قال جرير:

يا تَيمَ تيمَ عدي لا أبا لكُمُ

لا يلقَيَنَّكُمُ في سوأةٍ عُمَرُ»[٣٠]

ومما أهمل عزوه قول جرير:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ

ولزرتُ قبرك والحبيبُ يُزَارُ

حيث اكتفى بالقول «قال آخر»[٣١] وهذا الغالب في تعامله مع الأبيات.

ونجده في أحيان قليلة يعزو البيت لقائله ويذكر مَنْ احتج به، نحو:

وأنشد سيبويه لمزاحم العقيلي:

فدعْ ذا ولكنْ هتُعينُ متيَّماً

على ضوءِ برقٍ آخرَ الليلِ ناصبِ

يريد: هل تُعينُ»[٣٢]

ويكتفي أحياناً بالإحالة إلى مَن احتج بالشعر دون قائله، من ذلك قوله:

وأنشد الخليل وسيبويه:

قلتُ لشيبانَ ادنُ من لقائه

أنَّا نغَدِّي القومَ من شوائه»[٣٣]

أما الروايات في الأبيات فلم يعن بذكرها إلا في بيت واحد سبق ذكره[٣٤].

ونرى المؤلف يعقب بعض الأبيات بشرح معناه، مثاله: «قال ابن ميَّادة:

تفاقدَ قومي إذ يبيعون مُهجتي

بجاريةٍ، بَهراً لهم بعدَها بَهْرا

فإنما أدخل اللام في قوله: بهرًا لهم، للتبيين. ومعنى

بهـرًا: تعسـاً لهم، كذلـك يقول بعضـ أهل اللغـة. وقال بعضـهم: معنـى بهـرًا لهم: غلبة لهـم وقهرًا لهـم، كأنه دعا عليهـم بالغلبة. قالوا: ومن ذلـك قولهم: بهر القمر الكواكـب، إذا قـوي ضـوءُه فغلـب ضـوء الكواكـب، وقد تستعمل: بهرًا لفلان، بمعنى التعجب، كما قال الشاعر:

ثُمَّ قالوا: تحبُّها ؟ قلتُ: بهرًا

عددَ النجمِ والحصى والترابِ

إنما معناه: عجباً لهم»[٣٥]

وكان الزجاجي - رحمه الله - حريصاً على ضوابط الاحتجاج بالأشعار، فهو يورد منها ما صلح للاحتجاج في تقرير ما يعرضه من مسائل، لكنَّ هذا لم يمنعه أن يفسر لام التعجب بشعر مُحدَث، مع إشارته إلى أنه ليس بحجة، وذلك في حديثه عن «لام التعجب» قال: «قال الشاعر:

للهِ يبقى على الأيـام ذو حيَدٍ

بمُشْـمَخِرٍّ بـه الظَيَّـانُ والآسُ

وقد كشف بعض المحدثين معنى هذه اللام وتضمنها للتعجب بأن كرَّر عليها التعجب، وإن كان ليس بحجة، ولكنه مما يبين هذا المعنى، وهو قوله:

للهِ آنسـةٌ فُجعـتُ بـها

ما كان أبعدَها من الدنسِ»[٣٦]

وحين حكى لغة الخفض بـ (لعلَّ) أشار إلى أن الشاهد فيها مما يحتج به ولكن الخفض بـ

(لعـلَّ) شـاذ: «وقـد روي أن بعضـهم يخفضـ بها، وأنشدوا:

وداعٍ دعا هل من مجيبٍ إلى الندى

فلـم يَستجبْـه عندَ ذاكَ مُجيبُ

فقلتُ ادعُ أخرى، وارفع الصوتَ داعياً

لعـلَّ أبـي المغـوارِ منـكَ قريبُ

فخفض بها كما ترى، وهذا شعر قديم، ومثل هذا يُروى على شذوذه ولا يقاس عليه»[٣٧].

وقد خطَّأ بعض الشـعراء في إدخاله (يا) النداء على (ال) التـي بمعنى (الذي) وكـذا دخولها على التي قال: «وقـد غلـط بعض الشـعراء فأدخلهـا على الـذي لمّا رأى الألف واللام لا تفارقانه فقال:

فَيـا الغُـلامـانِ الـلـذانِ فـرَّا

إيَّـاكـمـا أنْ تُكسبَانا شَـرًّا

وقال آخر:

من أجلكِ يا التي تَيَّمت قلبي

وأنـتِ بخيلـةٌ بالـودِّ عنّـي»[٣٨]

ونقل عن أستاذه أبي إسحاق الزجَّاج (ت ٣١١هـ) توجيهه قول الشاعر:

ربَـيْـتُـهُ حتـى إذا تَمَـــعْـدَدَا

كان جزائـي بالعصـا أنْ أُجْلَـدَا

قال: «فيـه وجهـان: أحدهما: أن يكون الجزاء اسـم كان، وبالعصـا خبرهـا، ويكـون أن أجلـد غـير متصـل بالعصـا، ولكـن يكون الكلام قـد تمَّ دونـه، وأن أجلد في موضـع رفع خبر ابتداء مضـمر، كأنَّه قـال: هو أن أجلد. ويجـوز أن يكـون نصـباً بدلاً مـن قوله بالعصـا، فيكون التقديـر: كان جزائي أن أجلد. والوجـه الثاني: أن يكون بالعصـا تبييناً، ويكون أن أجلدا خـبر كان، ولا يجوز أن يكون بالعصـا في صـلة أن أجلد لأنه قد قدَّمـه عليه»[٣٩] وهذا التوجيه منه قليل.

الآيات القرآنية:

لم يُعـن المؤلـف بعـزو الآيـات إلى سـورها، واكتفى بنسـبة القـول إلى الحـق تعـالى، نحو قولـه: «قال الله تعـالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾»[٤٠] وهذا ديدن

معظم المتقدمين. كما أنه لم يلتزم ذكر الآية كاملة، بل يقتصر على ما يفي بمراده، سواء كان بتمام الآية أم بجزء منها.

والزجاجي وافر الحيطة في تعرضه لمعاني الآيات، فمع أنَّ الآيات التي ذكر معانيها ليست كثيرة نجده يحتاط كثيراً، فهو يقدِّم لتفسيره بالقول «والله أعلم» ونحوه. من ذلك إبانته معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[٤١]، حيث قال: «وأراه - والله أعلم - إشارة إلى ما هوى من النجوم إلى الغروب أيها كانت، ويجوز أن يكون إشارة إلى ما هوى من الكواكب التي تُرجم بها الشياطين»[٤٢] وهو يناقش أهل التفسير وغيرهم في بعض ما فسروه؛ فقد نقل عنهم تقديرهم معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾[٤٣] أنه: دنا لكم، ورأى أنَّ ذلك «ليس بمقيس، أعني إدخال اللام بين المفعول والفعل، وإنما هو مسموع في أفعال تحفظ ولا يقاس عليها. ألا ترى أنه غير جائز أنْ يقال: ضربتُ لزيد، وأكرمت لعمرو. وأنت تريد: ضربت زيداً، وأكرمت عمراً، ومهما ثبتت به رواية صحيحة أُلحق به»[٤٤]. وهو يعرب عن رأيه فيما ينقله؛ ففي كلامه عن مسألة من القرآن، هي قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[٤٥] نقل عن بعضهم تجويزه كون (أنْ) نافية بمعنى (ما) للجحد، ويكون المعنى: «ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، استحقاراً بمكرهم. فاستحسن الزجاجي المعنى دون العربية» وهذا جيد في المعنى، إلاَّ أنه ضعيف في العربية؛ لأنَّ اللام لا تدخل على (إنْ) إذا كانت نافية، وقد قرئ (وإنْ كان مكرهم لَتزولُ منه الجبالُ) على أنْ نجعل (إنْ) هي المخففة من الثقيلة، واللام للتوكيد التي تلزم في خبر (إنَّ)؛ تفصل بينها وبين النافية، فيكون على هذا التقدير كأنه قال: وإنْ مكرهم لَتزولُ منه الجبال، فدخلت اللام كما ذكرت لك؛ ويكون هذا على التعظيم لمكرهم...»[٤٦].

أمَّا القراءات القرآنية فيوردها بالعزو تارةً وبدونه تارةً أخرى، مع التوجيه النحوي لمعظمها؛ فمما عزاه منها مع التوجيه قوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[٤٧] قال: «وقرأ عبدالله بن عامر (ما فَعَلُوهُ إلا قليلاً مِنْهُم) بالنصب؛ وذلك أنَّ (إلاَّ) إذا كان ما قبلها من الكلام موجباً كان ما بعدها منصوباً منفياً عنه ما أُثبت لما قبلها، وإذا كان ما قبلها منفياً جاز فيما بعدها البدل مما قبلها، والنصب على أصل الاستثناء. وهذا مذهب البصريين ولا يجوِّزون غيره»[٤٨].

و مما أهمل عزوه قراءة نافع والكوفيين والبزي ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾[٤٩] بإسكان اللام، واكتفى بالقول «قرأ بعض القرَّاء»[٥٠].

أمَّا موقفه من القراءات الشاذة فحجيتها، فهو يرى أنَّ لام الأمر تدخل على المضارع للغائب، ولا تدخل على الحاضر إلا إذا أُريد توكيد الفعل، نحو: لتركب ولتنطلق، واستشهد على ذلك بقراءة أُبي وغيره دون عزو منه ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ على الخطاب، وهي قراءة شاذة[٥١].

الحديث النبوي الشريف:

لم يكن الزجاجي - رحمه الله - من المشتغلين بعلوم الحديث النبوي الشريف، ومع وجود بعض روايات قليلة ذكرها السيوطي عنه في أثناء ترجمته له؛ فلا نجد له جهوداً في هذا الفنِّ تذكر، ولذا نرى الأحاديث النبوية في كتابه لم تتجاوز أربعة أحاديث، ووجودها إلماحة إلى حجية الحديث النبوي عنده، شأنه في ذلك شأن القدماء، فقلما نجد كتاباً نحوياً يخلو من أحاديث نبوية، وعود قلة

الأحاديث في كتبهم إلى عدم اشتغال معظمهم بالحديث النبوي الشريف فيما أرى. ويشهد لذلك ما نجده عند مَن مرسوا فنونه من إكثارهم من الاحتجاج به؛ منهم الإمام ابن مالك (ت ٦٧٢هـ) والإمام الدماميني (ت ٨٢٨هـ) وغيرهما. ولا يدفع ذلك نقض أبي حيَّان الأندلسي(ت٧٩٠هـ) صنيع ابن مالك وغمزه من قناته حيث قال في كتابه شرح التسهيل: «والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر، متعقباً بزعمه على النحويين، وما أمعن النظر في ذلك ولا صحب من له التمييز»[٥٢] لكنَّ أبا حيان قد وقع فيما عابه على ابن مالك؛ فنراه يحتج بالحديث النبوي في كتبه[٥٣].

وقد أقرَّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة حجية الحديث النبوي بضوابط علمية معلومة[٥٤].

والزجاجي دقيق في عبارته، فحين عرض لقول يعقوب ابن الربيع:

لله آنسةٌ فُجعتُ بها

ما كانَ أبعدَهَا من الدَنَسِ

ذكر أنه مما لا يحتج به فقال: «وإن كان ليس بحجة، ولكنه مما يبيِّن هذا المعنى»[٥٥] أما ما أورده من الحديث النبوي فلم يُشر إلى شيء من ذلك؛ وفي ذلك أمارة على أنَّ الحديث النبوي مما يحتج به عنده؛ إذ لو كان له رأي آخر لأعقب كل حديث أورده بما يشير إلى كونه غير حجة على نحو صنيعه في الشعر. أما قلة الأحاديث في كتابه فلا تدفع احتجاجه بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام؛ فنحن نجد أنه لم يذكر في كتابه سوى مثَل واحد[٥٦]، فهل نحكم بعدم حجية أمثال العرب عنده ؟

وقد وردت الأحاديث في اللامات مهملة النسبة إلى رواتها، واقتُصِرعلى متنها دون السند؛ منها قوله عليه الصلاة والسلام «لتأخذوا مصافكم»[٥٧] فقد أورده في باب لام الأمر، مستشهداً به على جواز دخول لام الأمر في فعل المخاطب. قال: «وروي أن النبي ﷺ قال في بعض مغازيه لبعض أصحابه: لِتَأْخُذُوا مصَافَكُم. فأدخل اللام في فعل المخاطَب»[٥٨].

وفي باب لام الشرط نقل حديثاً بمعناه في أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[٥٩] قال: «كما يروى أنَّ مَن سنَّ سنة خير فله أجرها وأجر العاملين، من غير أن ينقص من أجورهم شيء»[٦٠] ولعله لم يحضره الحديث بألفاظه فاكتفى بمعناه.

لغات العرب والأمثال والمصطلحات

أورد المؤلف عدداً من لغات العرب بلا نسبة، مقتصراً على الإشارة لكونها لغة عند بعض العرب. أما ما عزاه منها فواحدة على ما سيأتي. ومما أغفل عزوه لغة هُذيل في المقصور المضاف إلى ياء المتكلم؛ حيث تقلب الألف ياءً وتدغمها في ياء المتكلم. قال «ومن العرب مَن يقلب الألف ياءً فيدغم فيقول: هذه عصيَّ ورحيَّ، ومنه قول بعض الصحابة: وضعوا اللجَّ على قفيَّ»[٦١].

أما اللغة التي عزاها فهي جواز إظهار اللام في (هلْ رأيت) التي نقل عن سيبويه نسبتها لأهل الحجاز. قال: «فمما يكون الإدغام فيه أحسن قولك: هلْ رأيت. لقرب الراء من اللام، والإظهار أقبح والله أعلم. وهي فيما حكى سيبويه لغة أهل الحجاز»[٦٢].

ولا نجد في اللامات غير مَثَل واحد، ذكره في كلامه على الاسم المرفوع بعد (لو). قال: «ومن أمثال العرب: لو ذاتُ سوارٍ لطَمَتْني»[٦٣].

أما المصطلحات فكانت بصرية، نحو: البدل[٦٤] والحال[٦٥] والحرف[٦٦] والصفة[٦٧] ونراه يستخدم مع

الصفة النعت، فانظر صنيعه في لام التعريف حيث يقول: «وقد تدخل لضربٍ من التعريف؛ وذلك أن تدخل على نعت مخصوص مقرون بمنعوت، ثم لا يطرد إدخالها على مَن كان بتلك الصفة مطلقاً إلاَّ معلَّقاً بما يخرجه عن العموم والأشكال، وذلك قولهم: المؤمن والكافر والفاسق والمنافق والفاجر، وما أشبه ذلك من الصفات الشرعية»[٦٨].

وفي كلامه على (لام العاقبة) ذكر تسميتها عند الكوفيين بقوله: «وهي التي يسميها الكوفيون لام الصيرورة»[٦٩]. وذكر في باب لام كي أنَّ الكسائي (ت ١٨٩هـ) يسمي الحروف الخافضة والظروف بالصفات، وينصبها لمغايرتها الأسماء[٧٠]. ولم يصنع ذلك في غيرهما.

وهو لم يعرِّف بشيء من تلك المصطلحات فهي بحكم المعلوم ضرورة، لكنه في حديثه في (باب أحكام اللامات في الإدغام) عرَّف بالإدغام لغة واصطلاحاً، وأصَّل له قائلاً: «ومعنى الإدغام إنما هو إدخال حرف في حرف. واشتقاقه من قول العرب: أدغمتُ اللجام في فِّي الفرس، إذا أدخلته فيه ..... الإدغام: وصلك حرفاً ساكناً بحرف مثله من موضع واحد أو موضعين، من غير حركة تفصل بينهما، ولا وقفة، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، ينبو اللسانُ عنهما نبوة واحدة، ويشتدُّ الحرف»[٧١]، وقد أفصح عن علة صنيعه هنا، فهو لم يعرِّف بغيره فأبان القصد: «وليس غرضنا شرحَ الإدغام فنأتيَ على وجوهه وأحكامه، وإنما ذكرنا منه أصلاً يدلُّ على وجوهه لتعلقه بمقصدنا»[٧٢].

العلل

عني الزجاجي عناية واضحة بالتعليلات النحوية، فلم يكتفِ بعرض الأحكام وتقريرها، بل نراه يفصح في الكثير منها عن عللها، ولا غرابة في هذا المسلك، فهو من أوائل مَن كتبوا في العلل، وخير شاهد على ذلك كتابه (الإيضاح في علل النحو) الذي حققه مازن المبارك.

ونلحظ أنَّ العلل التي ساقها في لاماته لا وجود لها في إيضاحه.

ومما أعرب عن علته امتناع دخول حرف النداء على المعرَّف بـ (ال) ماعدا لفظ الجلالة (الله). قال: «لو قلت: يا الرجلُ ويا الغلامُ، لم يَجُزْ. والعلة في امتناع الجمع بينهما هي أنَّ حرف النداء يُعرِّف المنادى بالإشارة والتخصيص، والألف واللام يعرفانه بالعهد، فلم يَجُزْ الجمع بين تعريفين مختلفين ..... إلاَّ قولهم: يا الله اغفر لنا، فإنهم أدخلوا الألف واللام وحرف النداء، وإنما جاز ذلك لأنَّ أصله إله، ثم دخلت الألف واللام وحذفت الهمزة فصارت الألف واللام لازمتين كالعوض من الهمزة المحذوفة، فصارتا كأنهما من نفس الكلمة، فلذلك دخل عليه حرف النداء»[٧٣].

وفي كلامه على لام (إنَّ) وامتناع فتح همزتها لأجل دخول اللام علل ذلك بالقول: «فإنما كُسرت ولم يجُزْ فتحها لأنَّ (أنَّ) المفتوحة مع ما تعمل فيه اسمٌ بتأويل المصدر، يُحكم عليه بالرفع والنصب والخفض. و(إنَّ) المكسورة حرف معنىً لا موضع له من الإعراب. واللام التي هي خبر (إنَّ) قد قلنا إنها لام الابتداء، وكانت مقدرةً قبل (إنَّ)، ولام الابتداء تمنع ما قبلها أن يعمل فيما بعدها، فلم يجُز لما قبل (إنَّ) أنْ يعمل فيها واللام بينهما، لأنَّ لام الابتداء حاجز يمنع ما قبله من التخطي إلى ما بعده ...»[٧٤] وله من ذلك نظائر[٧٥].

وانظر تعليله عدم تصرف (ليس) بالقول: «لمَّا وقع

بلفظ الماضي نفياً للمستقبل، فقيل: ليس زيدٌ خارجاً غداً، استُغني فيه عن المستقبل لم يُبنَ منه اسم الفاعل ولا المفعول، فهذه علة امتناعه من التصرف. وعلة أخرى وهي أنه لمَّا نُفي بها ضارعت حروف المعاني النافية، فمنعت من التصرف لذلك...»[٧٦].

المسائل:

كان الزجاجي منهجياً في لاماته؛ فلا نجد في كتابه استطراداً، بل يلتزم ما يخدم القصد العلمي للمسألة التي يتناولها بالبحث، فهو قد يخوض في مسائل لغوية وأحياناً صرفيَّة خدمة لقصد تقرير معنى يريده؛ ففي كلامه عن لام التعريف وأحكامها ذكر أنها قد تدخل على الصفة المخصوصة المقترنة بوصف معلَّق يخرجه من العموم، ومثَّل بكلمة (الكفار) في قوله تعالى (كَمَثَلِ غَيثٍ أعجبَ الكفَّارَ نباتُه)[٧٧]؛ فأبان عن المراد بها، وتحدَّث عن نظيرها القريب في المعنى وهو كلمة (الفاسق) فشرح ما لها من معنى بالقول: «وكذلك الفاسق، أصله عند جميع أهل العربية من قولهم: فسقت الرطبة من قشرها، إذا خرجت منه، ولا تطلق هذه الصفة معرَّفة بالألف واللام على كلِّ خارج من غشاء وغطاء وستر كان فيه. وكان قطرب (ت ٢٠٦هـ) وحده يذهب إلى اشتقاق الفاسق من الاتساع، وذكر أنَّ العرب تقول: تفسَّق الرجل في أمره، إذا اتسع فيه، قال: فكأنَّ الفاسق قد وسَّع على نفسه من مذاهب الدين ما يحرُج فيه غيره، فيضيفه على نفسه توقياً للمآثم. ولا يجوز على هذا التأويل أيضاً إطلاقه معرَّفاً بالألف واللام على كلِّ مَن توسع في حال من الأحوال. ومن هذا النوع الطبيب والفقيه والشاعر؛ لأنها وإنْ كانت صفات مشتقات فلن تطلق معرَّفة بالألف واللام إلاَّ مخصوصة لمن وضِعت له اتفاقاً»[٧٨].

وفي حديثه عن لام التعريف أيضاً عرض للجانب الصرفي في كلمة (الثريَّا) فقال: «ومن قولهم في هذا الباب: الثُّريَّا للكواكب المجتمعة المعروفة بعينها. وإنما هي تصغير ثَرْوى، وهي فَعْلى من الثروة، وهي الكثرة، ولا يطلق هذا اللفظ مصغَّراً معرَّفاً بالألف واللام لِما كثُر من الأشياء غيرها»[٧٩] وفي حديثه عن اللام المزيدة في عبدل ذكر أنَّ بعضهم يرى أنه يقال لولد النعام الهَيْقَل وغيره يرى الهِقْل وعَقَّب على ذلك بالقول» فمن قال الهيقل فإنه زاد الياء، واللام أصلية، وتقديره: فيعل، بمنزلة البيطر والحيدر»[٨٠] والمسائل الصرفية في كتابه لم تتجاوز الأربع[٨١].

وقد كان للمسائل اللغوية الحظ الأوفى. ولا نقف في كتابه على مسائل في البلاغة أو العروض أو الخط أو الفقه أو الحديث، وليس من ضرورة تقتضي ذكرها. أمَّا التفسير فمضى الحديث عنه في (الآيات القرآنية) فانظره ثمَّة[٨٢].

النقد:

أبان الزجاجي عن منهجه في التعامل مع الآراء التي أفاد منها في كتابه، وذلك فيما نقله عن أبي عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ) بالقول: «قال: وإذا قال العالم المتقدِّمُ قولاً فسبيل مَن بعده أن يحكيه، وإن رأى فيه خللاً أبان عنه ودلَّ على الصواب، ويكون الناظر في ذلك مخيَّراً في اعتقاد أي المذهبين بانَ له فيه الحق»[٨٣] وصنع هذا وسار عليه. وكانت له رؤية علمية أفصح عنها في مواطن عدة، وهو يعرب عن موقفه دونما غمز أو لمز في الغالب، بل يلتزم المسلك العلمي النزيه في الردِّ البعيد عن التعصب والذاتية.

فانتماؤه البصري لم يمنعه من مخالفة البصريين

وبعض شيوخهم، فضلاً عن مخالفته غيرهم ونقض آرائهم.

فهو لم يرتضِ من الخليل رأيه في (أل) التعريف أنَّها كلمة واحدة مبنية من حرفين، ووافق مذهب الجمهور بأنَّ اللام للتعريف والألف زائدة قبلها ليتسنَّى النطق بالساكن. وبرأيهم أخذ، ودفع قول الخليل: «والقول ما ذهب إليه العلماء، ومذهب الخليل فيما ذكره ضعيف. والدليل على صحة قول الجماعة وفساد قول الخليل هو أنَّ اللام قد وجِدت في غير هذا الموضع وحدها تدل على المعاني، نحو: لام الملك، ولام القسم، ولام الاستحقاق، ولام الأمر، وسائر اللامات التي عددناها في أول الكتاب. ولم توجد ألف الوصل في شيء من كلام العرب تدلُّ على معنىً، ولا وجدت ألف الوصل في شيء من كلام العرب تكون من أصل الكلمة في اسم ولا فعل ولا حرف، فيكون هذا ملحقاً به. وكيف تكون ألف الوصل من أصل الكلمة وقد سميت وصلاً، ومع ذلك فإنَّ الخليل نفسه قال: إنما سُمِّيت ألف الوصل بهذا الاسم لأنها وصلة للسان إلى النطق بالساكن»[٨٤].

وفي كلامه عن اللام التي تلزم (إنْ) المخففة من الثقيلة ردَّ قول الكوفيين بأنها لام (إلاَّ) وأنَّ (إنْ) بمنزلة (ما) في الجحد، حيث تأولوا قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[٨٥] قال: «ما كنت من قبله إلاَّ من الغافلين..... وهذا غلط؛ لأنَّ اللام للإيجاب والتحقيق، و(ما) للنفي، فلا يجوز اجتماعهما في حال، فيكون الكلام محققاً منفياً؛ ألا ترى أنَّك لو أظهرت (ما) في هذه الآيات لم يجز لو قلت: ما كنت من قبله لمن الغافلين، وما زيدٌ لقائم، لم يجز، وإنما يكون الشيء موضوعاً موضع غيره إذا كان معناه كمعناه، فأمَّا إذا باينه فحمله عليه خطأ»[٨٦].

وفي باب اللام الأصلية ذكر أنَّ الفراء يرى التركيب في (إلاَّ) الاستثنائية من حرفين: (إنَّ) و(لا) والناصب للمستثنى بعدها (إنَّ)، و(لا) ملغاة، وإذا ارتفع ما بعدها فرفعه بـ (لا) وتصبح (إنَّ) ملغاة. ولم يرتض الزجاجي ذلك قائلاً: «وهذا تحكم منه، وإلغاء (إنَّ) وقد بُدئ بها مما لا يعقل في كلام العرب، ولا يعرف له نظير؛ وذلك أنَّ العرب قد أجمعوا على أنَّ المُلغى لا يُبتدأ به، ولا يجوز أنْ تقول: ظننتُ زيدٌ منطلق، على إلغاء الظنِّ وقد بدأت به. وكذلك موقع (إنَّ) في (إلاَّ) إنْ كانت كما زعم مركبة من حرفين، فإلغاؤها غير جائز. والرفع بها خطأ لتقدم (إنَّ) وإجماع العرب والنحويين على إجازة: ما قام القوم إلاَّ زيدٌ. وقول الله تعالى (وما فعلوه إلاَّ قليلٌ منهم) فالرفع يدل على فساد ما ذهب إليه الفراء. وقد أجاز الفراء أيضاً الرفع بعد (إلاَّ) في الموجب، فأجاز: قام القوم إلاَّ زيدٌ، وانطلق أصحابك إلاَّ بكرٌ؛ قال: أرفعه على إلغاء (إنَّ) والعطف بلا. وقد بيَّنت لك فساد هذا الوجه، وهو لحنٌ عند البصريين»[٨٧].

ونراه في «باب من مسائل اللام» يخالف البصريين والكوفيين معاً في جواز تقديم معمول خبر (إنَّ) الذي دخلته اللام على الخبر في نحو: إنَّ زيداً لآكلٌ طعامك. قال: «فإنْ قدَّمت الطعام فقلت: إنَّ زيداً طعامكَ لآكلٌ. كان ذلك جائزاً عند البصريين والكوفيين معاً؛ قالوا: لأنَّ دخول اللام وخروجها سواء، ألا ترى أنَّ قولك: إنَّ زيداً آكلٌ طعامك، إنَّ زيداً لآكلٌ طعامك، سواء.

هذا احتجاجهم جميعاً في إجازة هذا. وعندي أنَّ الأمر على خلاف ما ذهبوا إليه، ولو كان كذلك لوجب إجازة تقديم المنصوب بخبر الابتداء على لام الابتداء في قولك: لزيدٌ آكلٌ طعامك، فكان يلزم أن يُقال: طعامك

لزيدٌ آكلٌ؛ لأنَّ دخول هذه اللام وخروجها سواء، كدخولها في خبر (إنَّ) وخروجها»[٨٨].

ونراه يورد بعض التأويلات المغلوطة لبعض آي القرآن الكريم نقضاً لها وصيانة لمعاني الآيات الكريمة، ونلحظ الحدة في الرد لما يمثله التفسير الخاطئ من تعدٍ على كلام الله، فيصف ذاك المتأول بالغباء والجهل بعلوم العربية. ففي كلامه على لام التعريف عرض لقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾[٨٩] ودفع تفسير بعضهم للكفار في الآية بأنه نقيض الإيمان، فقال: «تعلق بهذه الآية بعض أغبياء الملحدين، ممن لا علم له بالعربية فقال: وكيف يعجب الزرع الكفارَ دون المؤمنين؟ وذهب عليه أنَّ المعنيَّ بهم هم الزرَّاع؛ لأنهم به عند استحكامه وجودته أشدُّ فرحاً من غيرهم، لطول معاناتهم له وكدِّهم فيه، وتأميلهم إياه»[٩٠].

ونظير ذلك ما ذكره في لام العاقبة؛ حيث ذكر أنَّ العرب قد تسمي الشيء بما يؤول إليه، واستشهد له بقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[٩١] فقد سمي خمراً باعتبار عاقبته ومآله، ثم قال: «زعم مَن لا علم له بالعربية ومعرفة أساليبها واتساع العرب فيها أنَّ الخمر هاهنا هو العنب نفسه، ضعفاً منه عن تخريج وجهه من كلام الفصحاء منهم وإلحاقه بما يعرفون الخطاب به، ولو كان هذا جائزاً في اللغة لكان مَن أكل العنب قد أتى ما حظره الله عليه من تحريم الخمر، وقد خاطب الله تعالى ذكره العرب وأصحاب النبي ﷺ بذلك، فعقلوا المراد به، ولم يُحمل عن أحد منهم أنَّ المراد بالتحريم العنب، والإجماع على هذا يدلُّ على فساد ما ذهب إليه هذا القائل بهذه المقالة»[٩٢].

وأرى أنَّ الزجاجي أقرَّ ما عابه على مَن وصفه بـ «مَن لا علم له بالعربية» وهو ابن قتيبة الدينوري[٩٣] (ت ٢٦٧هـ) وذلك فيما نقله عن الأصمعي (ت نحو ٢١٥هـ) قال: «وحكى الأصمعي عن المعتمر بن سليمان أنَّه قال: لقيني أعرابي ومعه عنب، فقلت له: ما معك؟ فقال: خمر. وهذا هكذا مجازه عند أهل العربية؛ أنَّ العرب قد تسمِّي الشيء باسم الشيء إذا جاوره أو ناسبه، أو اتصل به، أو آلت إليه عاقبته»[٩٤] فكيف لام ابن قتيبة على ما ارتضاه من غيره؟! ولم أقف على ما يؤيد موقف المؤلف من ابن قتيبة؛ قال أبو بكر السجستاني (ت٣٣٠هـ): «ويقال: الخمر هو العنب بعينه»[٩٥] وقال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) في الآية: «في هذا أقوال؛ منها: أنَّ الخمر هاهنا العنب»[٩٦] وفي قراءة ابن مسعود وأُبيّ بن كعب (إنِّي أعصر عنباً)[٩٧]، والخمر في لغة أهل عُمان اسم للعنب[٩٨].

أمَّا نعت المؤلف ابن قتيبة بالجهل في العربية وأحكامها؛ فمَن من أهل العلم يجهل مكانته العلمية؟! قال الذهبي في ترجمته: «العلاَّمة الكبير، ذو الفنون أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة»[٩٩]، وقال السيوطي (ت ٩١١هـ) فيه: «قال الخطيب: كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقةً ديِّناً فاضلاً»[١٠٠]؛ وكتبه وكثرة النقول عنه خير برهان على ذلك.

مصادره:

أفاد الزجاجي من أُمات كتب النحو واللغة وغيرها في كتابه، وربما يلحظ قارئ اللامات أن ما ذكره المؤلف من المصادر قليل لم يتجاوز ثلاثة عشر مصدراً، ولكن القراءة الفاحصة لمادة الكتاب وتاريخ تصنيفه تجعل تلك النظرة مضطربة؛ وذلك أنه قصر الكلام في كتابه على اللامات دون غيرها فجاء كتابه ليس كبيراً. وإذا ضممنا

المصادر المبهمة التي ذكرها بقوله: «قال بعضهم» ونحوه، وهي أربعة عشر كان مجموع مصادره سبعة وعشرين تقريباً، وهذا يكافئ المادة العلمية في الكتاب.

أمّا مصادره التي عوّل عليها فتصدرتها أقوال سيبويه (ت نحو ١٨٠هـ) التي بلغت نحو تسعة وعشرين نقلاً، دأب على عرض كلام سيبويه من الكتاب بألفاظه غالباً؛ نحو ما نقله عنه في باب اللام الداخلة في النفي بين المضاف والمضاف إليه بالقول: «قال سيبويه: فزيادة هذه اللام بين المضاف والمضاف إليه في النفي والنداء بمنزلة تكرير الاسم وتقدير إضافة الأول إلى ما بعد المكرَّر»[١٠١] ويورد أحياناً نقله عنه بالمعنى، مشيراً إلى ذلك بالقول: «هذا مذهب سيبويه»[١٠٢] ونحوه.

وقد يشير في بعض الأبيات إلى ورودها في كتاب سيبويه، فانظره يقول: «وأنشد سيبويه لمزاحم العقيلي:

فدعْ ذا ولكنْ هَتُّعينُ متيماً

على ضوءِ برقٍ آخرَ الليلِ ناصبِ»[١٠٣]

والزجاجي يسوق أقوال سيبويه وآراءه إقراراً بها، وما نراه ينقض شيئاً منها في لاماته.

وضمت مصادره أقوال الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) فبلغ تعدادها ستة عشر قولاً أو رأياً، وهو في معظمها ينقل المعنى؛ من ذلك ما ذكره في باب لام الاستحقاق من أنَّ سيبويه يقدِّر في الظروف كلها الاستقرار، قال: «والفرَّاء يُقدر معنى الحلول، كقولك: زيد في الدار، تقديره عنده: زيدٌ حلَّ في الدارَ»[١٠٤] ومما جاء في نقله كلام الفرَّاء بالنص قوله في باب اللام المزيدة في (لعلَّ) في كلامه على قوله تعالى (قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون): «وزاد الفرَّاء في معنى فتح (أنَّ) في هذه الآية وجهاً آخر، قال: يجوز أن يكون تأويله: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون؛ فيكون في الكلام حذف يدلُّ عليه ما قبله»[١٠٥].

وأفاد من آراء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) وأقواله، والغالب في ذلك نقله المعنى. قال في لام التعريف: «للعلماء فيها مذهبان؛ أمَّا الخليل فيذهب إلى أنَّ الألف واللام كلمة واحدة مبنية من حرفين...»[١٠٦].

ونقل عنه في الباب نفسه قوله بالنص: «فإنَّ الخليل نفسه قال: إنما سُميت ألف الوصل بهذا الاسم لأنها وصلة للسان إلى النطق بالساكن»[١٠٧]، ونراه يعول في بعض الأبيات على ورودها عند الخليل؛ منها قول سعد ابن مالك:

يا بؤسَ للحربِ التي

وضعتْ أراهطَ فاستراحوا

قال فيه: «أنشده سيبويه والخليل وغيرهما»[١٠٨].

كما ضمت مصادره أقوال المبرد[١٠٩] (ت ٢٨٦هـ)، والكسائي[١١٠] (ت ١٨٩هـ)، والمازني[١١١] (ت ٢٤٩هـ)، وأبي إسحاق الزجاج[١١٢] (ت ٣١١هـ)، ويونس بن حبيب[١١٣] (ت ١٨٢هـ) ونقل عن أبي عمرو بن العلاء[١١٤] (ت ١٥٤هـ)، والأصمعي[١١٥] (ت نحو ٢١٥هـ)، وابن الأعرابي[١١٦] (ت ٢٣١هـ)، وابن السكِّيت[١١٧] (ت ٢٤٤هـ)، وقطرب[١١٨] (ت ٢٠٦هـ).

ونقف في اللامات على مصادر أفاد منها المؤلف أكثر من أربع عشرة مرة، فهو يشير إليها بالقول: «قال بعضهم»[١١٩]، و«بعض العلماء»[١٢٠]، و«بعض النحويين»[١٢١]، و«آخرون من البصريين»[١٢٢]، و«بعض أهل اللغة»[١٢٣]، و«بعض الناس»[١٢٤]، ويستخدم أحياناً «قالوا»[١٢٥]، و«قد قيل»[١٢٦]، ونحو ذلك.

اتسم نقل الزجاجي عن مصادره بالإيجاز غير

المخل، فهو لا يستطرد في نقولاته، ونلحظ أنه يكتفي بأسماء المؤلفين دون كتبهم؛ فهو لم يذكر اسم كتاب واحد في كتابه، كما أنه ينقل عن مصادره مباشرة دون واسطة.

ونجده يُقدِّم العزو على النقل دوماً؛ نحو: «وحكى الأصمعي عن المعتمر بن سليمان أنه قال: لقيني أعرابي ومعه عنب، فقلت له: ما معك؟ فقال خمرٌ»[١٢٧] وهو لا يشير فيما ينقله إلى انتهاء النقل عادة معظم المتقدمين، ولربما وهم القارئ أحياناً فظنَّ أنَّ كلام الزجاجي من كلام غيره، والذي قلل من ذلك ما وضعه محقق الكتاب مشكوراً من علامات ترقيم.

أمَّا النقل بالنص والنقل بالمعنى فقد مضى الكلام عليه والإشارة إلى أنَّ المؤلف صنع الاثنين معاً.

ملامح عامة

كتاب اللامات من مؤلفات القرن الرابع الهجري، وقد حرص الزجاجي على الالتزام بمنهجية في كتابه للغرض التعليمي الذي سبق الحديث عنه في (عبارة الكتاب)، فنرى الزجاجي بعيداً عن التكرار؛ ولذلك ربط كتابه بعضه ببعض، فنجده يحيل إلى لاحق؛ نحو صنيعه في (لام التعريف) حيث قال: «ومن نادر ما دخلت عليه الألف واللام للتعريف قولهم (الآن) في الإشارة إلى الوقت الحاضر، ونحن نذكره وعلته في الباب الذي يلي هذا الباب إنْ شاء الله»[١٢٨].

كما يحيل إلى سابق، ومثاله قوله في (باب لام إيضاح المفعول لأجله): «وبعض الناس يقول: إذا دخلت على الفعل المستقبل فهي لام كي بعينها، وإذا دخلت على الأسماء فهي التي تبين المفعول، والقول فيهما واحد، وقد شرحناه في باب لام كي»[١٢٩].

والمؤلف حريص على نفي اللبس عند القارئ؛ فهو يعرض كثيراً للفروق بين اللامات؛ نحو تفريقه بين لام الاستحقاق ولام الملك[١٣٠]، ولام الجحود ولام (كي)[١٣١]، ولام العاقبة ولام المفعول لأجله[١٣٢].

ونجد أنَّ المؤلف لم يكن للاستطراد طريقاً إلى كتابه، وما نراه من طول نَفَس في البيان فمرده إلى حرصه على خدمة المسائل المطروحة باستيفاء محمود؛ من نحو عرضه الخلاف بين البصريين والكوفيين في فعلية (ليس) من اسميتها وعرض أدلة كلٍّ[١٣٣]، ومنه أيضاً تعليل دخول اللام في خبر (إنَّ) دون غيرها وتعاليل أخرى، وذلك في حديثه عن اللام الأصلية[١٣٤]، وغير ذلك من المسائل.

كما نلحظ الترتيب في سَوق المعلومات والتسلسل، وهذا ما جعل لكتب الزجاجي رحمه الله قبولاً عند أهل العلم.

الخاتمة:

أبانت هذه الدراسة منهج كتاب اللامات، والذي أوجزه فيما يلي:

أولاً: النهج التعليمي للكتاب، وقد ظهر في سلوك المؤلف في تقديم مادة كتابه وفي عبارته.

ثانياً: وفرة استشهاد المؤلف بالأشعار واهتمامه بالجانب النحوي أو اللغوي فيها، مع عدم انتظامه في التعامل معها من حيث العزو وعدمه، وإشارته إلى مالا يصلح منها للاحتجاج.

ثالثاً: حيطته الكبيرة في الكلام على الآيات القرآنية، ومخالفته لبعض المفسرين فيما قالوا به أحياناً. أما القراءات القرآنية فيرى حجيتها في اللغة؛ شاذها فضلاً عن متواترها.

رابعاً: حجية الحديث النبوي عنده، رغم قلة الأحاديث الواردة في لاماته.

خامساً: لم يعزُ معظم لغات العرب التي ذكرها. وكانت مصطلحاته بصرية. أما الأمثال فنادرة في كتابه.

سادساً: اهتمامه البيِّن بالعلل.

سابعاً: كانت مسائله في الكتاب نحوية ولغوية وصرفية.

ثامناً: اتسم نقضه لمخالفيه بلين القول، اللهم إلا في رده على ابن قتيبة. وانتماؤه البصري لم يمنعه من مغايرة رأي البصريين أحياناً.

تاسعاً: أفاد من مصادر معلومة وأخرى أبقاها مبهمة.

عاشراً: إنَّ عدم التكرار والبعد عن الاستطراد، وعرض المادة العلمية برتابة واضحة منهجية تُحمد للكتاب.

الهوامش

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣: ٣٧٨) ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

(٢) انظر معجم الأدباء (٥: ٩٤)، والوافي بالوفيات للصفدي (٢: ٢٥)؛ تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ٠- بيروت : دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: الوافي بالوفيات (٤: ٢٤٥)، وسير أعلام النبلاء (١٥: ٢٧٦).

(٤) حققه المرحوم الأستاذ شاكر الفحام، وطبع في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. المجلد الثامن والأربعون. الجزء الرابع، ص (٧٥٧ - ٨٠١)، وانظر: الفهرست لابن النديم (١: ٥٤) ٠- بيروت : دار المعرفة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

(٥) انظر: الوافي بالوفيات (٧: ٥٢).

(٦) انظر: معجم الأدباء (٣: ١٧٩) .

(٧) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب (٢: ٦٢) لأبي الحسن الشيباني الجزري ٠- بيروت : دار صادر، ١٤٠٠هـ.

(٨) انظر: التكملة لكتاب الصلة للقضاعي (٤: ٨٦)؛ تحقيق عبد السلام الهراس ٠- لبنان : دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

(٩) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب (٢: ٦٢).

(١٠) اللامات ص ٣.

(١١) انظر: اللامات، ص ١٧.

(١٢) انظر: اللامات، ص ٣٠.

(١٣) انظر: اللامات، ص ٤٠.

(١٤) انظر: اللامات، ص ٤٥.

(١٥) انظر: اللامات، ص١٦٣ .

(١٦) انظر: اللامات، ص ١٦٧.

(١٧) انظر: اللامات، ص ١٧٤.

(١٨) سورة إبراهيم، الآية : ٤٦.

(١٩) اللامات، ص ١٨١.

(٢٠) اللامات، ص٦٠.

(٢١) اللامات، ص٨٤. وانظر ص ٦٨، ٨٠، ٨٣، ٩٩، ١١٠، ١١٣، ١١٧، ١٢٢، ١٤٣، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٨.

(٢٢) اللامات، ص١١٨.

(٢٣) اللامات، ص ١٤.

(٢٤) اللامات، ص ٦٦.

(٢٥) اللامات ص ٦٥. وانظر: ص ٥٧، ٦٠-٦١، ٦٢، ٩٧، ١٠٠، ١٠٢، ١١٣، ١٢٠، ١٣٧، ١٤٠.

(٢٦) انظر: اللامات، ص ١٥٥.

(٢٧) انظر : اللامات، ص ١٧٧.

(٢٨) اللامات، ص ١٣٤.

(٢٩) انظر اللامات، ص ١٣٣.

(٣٠) اللامات، ص ١٠١. وانظر: ص ١٠، ٤٨، ٥٥ -٥٦، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٩٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٧، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣.

(٣١) اللامات، ص ١٤٠. وانظر: ص: ١٠، ١٧، ٣٥، ٤٢، ٥٠، ٥٨، ٧٣، ٧٤، ٨٢، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٢١، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٨، ١٥١، ١٥٣، ١٧٣، ١٧٨.

(٣٢) اللامات، ص ١٧٣. وانظر الكتاب لسيبويه (٤: ٤٥٩)؛ تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. عالم الكتب ببيروت.

(٣٣) اللامات، ص ١٤٩. وانظر: ص٩٤، ١١١، ١١٤، ١٣٧. وانظر: الكتاب (٣: ١١٦).

(٣٤) انظر: ص ٩ من هذا البحث.

(٣٥) اللامات، ص١٣١ - ١٣٢. وانظر: ص ٥٤، ٨٣، ١٥٥، ١٦٧.

(٣٦) اللامات، ص ٧٤. ذكر محقق الكتاب أنَّ البيت الأول (لله يبقى.....) ليعقوب بن الربيع، قاله في جارية ملكها بعد أنْ بذل فيها جاهه وماله، فأقامت معه ستة أشهر ثم ماتت.

(٣٧) اللامات، ص ١٤٧ - ١٤٨. وانظر: ص٣٥، ٣٦.

(٣٨) اللامات، ص ٣٤.

(٣٩) اللامات، ص ٤٣. وانظر: ص ٤٢.

(٤٠) اللامات ص ٧٨. والآية في سورة الأنبياء، الآية : ٧٥. وانظر: ص: ٧، ١٥، ٣٣، ٤١، ٥١، ٦٠، ٧١، ٨٥، ٩٣، ١١٣، ١٢٢، ١٣١، ١٤٧، ١٥٧، ١٧٣.

(٤١) سورة النجم، الآية : ١.

(٤٢) اللامات، ص ٢٧. وانظر: ص١١، ١٥٩.

(٤٣) سورة النمل ، الآية : ٧٢.

(٤٤) اللامات، ص١٦٢.

(٤٥) سورة إبراهيم، الآية : ٤٦.

(٤٦) اللامات، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٤٧) سورة النساء، الآية: ٦٦. وانظر القراءة في التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص٩٦؛ تحقيق أوتوتريزل٠- ط٢ ٠- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ، والسبعة في القراءات لابن مجاهد ؛ تحقيق شوقي ضيف ٠- ط٢ ٠- مصر: دار المعارف، ١٤٠٠هـ، ص٢٣٥.

(٤٨) اللامات، ص١٣. وانظر: ص٨٦ - ٨٧، ١٧٣، ١٧٩ - ١٨٠.

(٤٩) سورة الحج، الآية : ٢٩ . وانظر: القراءة في الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٨: ٢٦٨).؛ تحقيق أحمد خراط ٠- ط٢ ٠- دمشق : دار القلم، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٥٠) اللامات، ص ٩٠. وانظر: ص ٨٨، ١٧٧.

(٥١) انظر: اللامات، ص ٨٨- ٨٩. وانظر: ص ١٧٧، ١٧٩- ١٨٠. والآية في سورة يونس، الآية : ٥٨. وانظر: القراءة في المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني (١: ٣١٣ - ٣١٤)؛ تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي٠- القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م

(٥٢) الاقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي، ص ١٥٩؛ دراسة وتحقيق محمود فجال ٠- ط١ ٠- مطبعة الثغر، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٥٣) انظر: في أصول النحو لسعيد الأفغاني، ص٥٤ ٠- المكتب الإسلامي: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٥٤) انظر: في أصول النحو العربي لمحمود أحمد نخلة، ص ٨٦ ٠- دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

(٥٥) اللامات، ص ٧٤. وانظر: ص٨٦.

(٥٦) انظر: اللامات، ص ١٣٧.

(٥٧) انظر: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (٢: ١٢٧) ؛ دار ابن خزيمة، والكشاف للزمخشري

(٢: ٣٣٦)؛ تحقيق عبد الرزاق المهدي ٠- بيروت : دار إحياء التراث. وذكره الخليل في الجمل ص ٢٦٧؛ تحقيق فخر الدين قباوة ٠- ط٥ ٠- دمشق : دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، وأبو البركات الأنباري في أسرار العربية (١: ٢٨٠)؛ تحقيق فخر صالح قدارة ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجيل، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، وابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين (٢: ٥٢٥)؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ٠- دمشق : دار الفكر، وابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص٢٩٧، ٣٠٠؛ تحقيق مازن المبارك وعلي حمد الله ٠- ط٦ ٠- دمشق : دار الفكر، ١٩٨٥م.

(٥٨) اللامات، ص٨٩. وانظر: ص ٨٢، ٩٦.

(٥٨) سورة العنكبوت، الآية : ١٣.

(٦٠) اللامات، ص ١٦٠. ونص الحديث: «مَن سنَّ سنة حسنة كان له أجرها ومثلُ أجرِ مَن عمل بها من غير أنْ ينقص من أجورهم شيء، ومَن سنَّ سنة سيئة كان عليه وزرها ومثلُ وزر مَن عمل بها من غير أنْ ينقص من أوزارهم شيء» رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه (٤: ٣٦١) ٠- مصر: مؤسسة قرطبة، ورواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي (١: ١٦٧) ٠- القاهرة، بيروت : دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.

(٦١) اللامات، ص ٩٦. وانظر: ص٩٤، ١٠٦ - ١٠٩، ١٢٢، ١٤٧، ١٥٧. وانظر: نسبة اللغة التي ذكرها في تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، ص ١٦١؛ تحقيق محمد كامل بركات ٠- دار الكتاب العربي: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١: ٣٩٤)؛ عناية إميل يعقوب ٠- ط١ ٠- دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. والصحابي هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه. انظر: غريب الحديث لابن سلام (٤: ١٠)؛ تحقيق محمد عبد المعيد خان ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ. وغريب الحديث لابن الجوزي (٢: ٣١٤)؛ تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي٠- ط١ ٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. والنهاية في غريب الأثر لابن الجزري (٤: ٩٤، ٢٣٤)؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ٠- بيروت : المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

(٦٢) اللامات، ص ١٧٢. وانظر: الكتاب (٤: ٤٥٧).

(٦٣) اللامات، ص ١٣٧. والمثل في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢: ٢٩٧) ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ومجمع الأمثال للميداني (٢: ٢٠٢)؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ٠- بيروت : دار المعرفة.

(٦٤) انظر: اللامات، ص: ٣٨، ١٤٨. ويسميه الكوفيون بالتكرير والترجمة.

(٦٥) انظر: اللامات، ص ١٠٤. ويسميه الكوفيون بالقطع.

(٦٦) انظر: اللامات، ص٨٤، ١٣٣، ١٥٢. ويسميه الكوفيون بالأداة.و قد ورد استخدام الأداة عند شيخ البصريين الخليل ابن أحمد رحمه الله في كتاب العين (١: ٤٢ - ٤٣)؛ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار انتشارات أسوة التابعة لمنظمة الأوقاف والأمور الخيرية. الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ. فهو يقول : «كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ؛ فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم، لو، بل، ونحوه من الأدوات «استعمله أبو بكر بن السراج في كتابه الأصول في النحو (١: ٢٥٨)؛ تحقيق عبد الحسين الفتلي٠- ط٣ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٦٧) انظر: اللامات، ص ٤٤، ٤٥، ٤٦.

(٦٨) اللامات، ص ٢٢. ورد استخدام الصفة والنعت عند سيبويه. انظر: الكتاب (١: ٤٤، ٥٥، ١٢٨، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٧، ٢: ٢٥، ٢٦).

(٦٩) اللامات، ص١٢٥.

(٧٠) انظر: اللاما،ت ص٥٢.

(٧١) اللامات، ص١٦٨.

(٧٢) اللامات، ص ١٦٨.

(٧٣) اللامات، ص ٣٢-٣٣.

(٧٤) اللامات، ص ٦٦-٦٧.

(٧٥) انظر: اللامات، ص ١٩، ٣٠، ٨٣، ٩٧، ١١٨.

(٧٦) اللامات، ص ٨-٩. وعلل بنحو ذلك وأكثر أبو الحسن ابن الوراق في كتابه العلل في النحو، ص ١٢٠ - ١٢٣؛ تحقيق مها مازن المبارك ٠- ط١ ٠- دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٧٧) الحديد ٥٧: ٢٠.

(٧٨) اللامات ص٢٣ - ٢٤. وانظر: ص ١٢٦، ١٤٤ - ١٤٥، ١٥٥ - ١٥٦.

(٧٩) اللامات، ص ٢٧.

(٨٠) اللامات، ص ١٤٥.

(٨١) انظر: اللامات، ص ٣٣، ٣٩، ١٥٦.

(٨٢) انظر: ص ١١ من هذا البحث.

(٨٣) اللامات ص ١٩.

(٨٤) اللامات، ص ١٨-١٩. وانظر: ص١٧. وانظر: الكتاب (٤: ١٤٧ - ١٤٨) وذهب الأخفش وابن مالك مذهب الخليل في ذلك. انظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير لمحمود الصغير، ص٧٥ ٠- ط١ ٠- دار الفكر، ١٤٢٢م. وانظر الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص١٩٣؛ تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نعيم فاضل ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ. وشرح التسهيل لابن مالك (١: ٢٥٣ - ٢٥٤)؛ تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون ٠- ط١ ٠- مصر: دار هجر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٨٥) سورة يوسف، الآية : ٣.

(٨٦) اللامات، ص١١٩ - ١٢٠. وما ردَّه المؤلف مذهب الفرَّاء. انظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ٢: ٤٢٧) ٠- القاهرة : دار الشعب، والأدوات النحوية في كتب التفسير، ص٤٠٣.

(٨٧) اللامات، ص ١٤ - ١٥.

(٨٨) اللامات، ص ١٧٥. وانظر: ص ٣٥ – ٣٦

(٨٩) سورة الحديد، الآية : ٢٠.

(٩٠) اللامات، ص ٢٣.

(٩١) سورة يوسف، الآية : ٣٦.

(٩٢) اللامات، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٩٣) انظر تفسير الثعالبي (٥: ٢٢٢) ٠- بيروت : مؤسسة الأعلمي، حيث نقل كلام القتيبي ونصه «وقد تكون هي الخمر بعينها».

(٩٤) اللامات، ص ١٢٦.

(٩٥) في غريب القرآن، ص ٦٥؛ تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران ٠- دار قتيبة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

(٩٦) في معاني القرآن (٣: ٤٢٥)؛ تحقيق محمد علي الصابوني. جامعة أم القرى. الطبعة الأولى: ١٤٠٩م.

(٩٧) انظر: الكشاف (٢: ٤٤٢)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي (٣: ٢٤٣)؛ تحقيق عبدالسلام عبد الشافي محمد ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية،١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، وتفسير أبي السعود العمادي (٤: ٢٧٥) ٠- بيروت : دار إحياء التراث.

(٩٨) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤: ٢٢٣) ٠- ط٣ ٠- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.

(٩٩) سير أعلام النبلاء (١٣: ٢٩٦).

(١٠٠) بغية الوعاة (٢: ٦٣).

(١٠١) اللامات، ص ١٠٠. وانظر: ص ٩، ١٢، ١٣، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٧٦، ٨٥، ٩٩، ١٠٨، ١١١، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٢، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١.

(١٠٢) اللامات، ص ٦٠. وانظر: ص ٦٥، ٦٦، ١١٣، ١٣٧، ١٧٢.

(١٠٣) اللامات، ص ١٧٣. وانظر: ص ١٤٩.

(١٠٤) اللامات، ص٥٢. وانظر: ص٧، ٣١، ٣٨، ٣٩، ٦٥، ٨٦، ١١٣.

(١٠٥) اللامات، ص ١٤٩. وانظر: ص ٢٨، ٦٠، ٨٥، ١٤٠، ١٤٢.

(١٠٦) اللامات، ص ١٧. وانظر: ص ١٨، ١١٣.

(١٠٧) اللامات، ص ١٩.

(١٠٨) اللامات، ص ١١١. وانظر: ص: ١٤٩.

(١٠٩) انظر: اللامات، ص٣٥، ٣٧، ٤١، ٤٣-٤٤، ١٣٧، ١٥١.

(١١٠) انظر: اللامات، ص٣١، ٣٨، ٥٢، ١١٣، ١١٤، ١٨٠.

(١١١) انظر: اللامات، ص ١٩، ٤٠، ٤١.

(١١٢) انظر: اللامات، ص ٤٣، ٦١، ١٧٥.

(١١٣) انظر: اللامات، ص ٤٩.

(١١٤) انظر: اللامات، ص ٨٦، ١٧٣.

(١١٥) انظر: اللامات، ص١٢٦.

(١١٦) انظر: اللامات، ص١٤٤.

(١١٧) انظر: اللامات، ص١٥٥.

(١١٨) انظر: اللامات، ص٢٤.

(١١٩) اللامات، ص٣٩، ٧٤، ١٣١، ١٥٧، ١٧٩.

(١٢٠) اللامات، ص ٧٢، ١٥٢.

(١٢١) اللامات، ص٩٠.

(١٢٢) اللامات، ص ٣٨.

(١٢٣) اللامات، ص ١٤٥.

(١٢٤) اللامات، ص ١٥٠.

(١٢٥) اللامات، ص ٨١.

(١٢٦) اللامات، ص ٨٠.

(١٢٧) اللامات، ص ١٢٦. وانظر: ص ١٩، ٢٥، ٣٧، ٤١، ٦٠، ٧٦، ١٠٠، ١٢٤، ١٣٢، ١٤٢، ١٥١، ١٨٠.

(١٢٨) اللامات، (٢٩) وانظر: ص ٤١، ١١٠، ١٦٠.

(١٢٩) اللامات (١٥٠) وانظر: ص ٩٩، ١٢٢، ١٣٤، ١٣٥.

(١٣٠) انظر: اللامات (٥٠).

(١٣١) انظر: اللامات (٥٥ - ٥٦).

(١٣٢) انظر: اللامات (١٢٥). وانظر: ص١٣٥، ١٣٧، ١٥٠.

(١٣٣) انظر: اللامات (٧ - ١٠).

(١٣٤) انظر: اللامات (٦٢ - ٦٨).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأدوات النحوية في كتب التفسير لمحمود الصغير ٠- ط١ ٠- دار الفكر، ١٤٢٢هـ.
- أسرار العربية لأبي البركات الأنباري؛ تحقيق فخر صالح قدارة٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجيل ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) ؛ تحقيق عبد الحسين الفتلي ٠- ط٣ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- أصول النحو لسعيد الأفغاني. المكتب الإسلامي: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- الاقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي؛ دراسة وتحقيق محمود فجال ٠- ط١ ٠- مطبعة الثغر، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- إنباه الرواة على أخبار النحاة لجمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم٠- ط١ ٠- بيروت : المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين لابن الأنباري ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٠- دمشق: دار الفكر.
- البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ) ٠- بيروت : مكتبة المعارف.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٠-

المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- البلغة، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ؛ تحقيق محمد المصري ٠- ط١ ٠- الكويت : جمعية إحياء التراث في الكويت، ١٤٠٧هـ.
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: علي بن الحسين الشافعي (ت ٥٧١هـ) ؛ تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمري ٠- بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي ٠- دار ابن خزيمة .
- ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)؛ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ٠- ط١ ٠- دار انتشارات أسوة التابعة لمنظمة الأوقاف والأمور الخيرية، ١٤١٤هـ.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك؛ تحقيق محمد كامل بركات ٠- دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- تفسير الثعالبي ٠- بيروت : مؤسسة الأعلمي .
- تفسير أبي السعود العمادي ٠- بيروت : دار إحياء التراث.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٠- القاهرة : دار الشعب.
- التكملة لكتاب الصلة للقضاعي؛ تحقيق عبد السلام الهراس ٠- لبنان : دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني؛ تحقيق أوتوتريزل٠- ط٢ ٠- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤هـ.
- الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي؛ تحقيق فخر الدين قباوة ٠- ط٥ ٠- دمشق : دار الفكر ، ١٤١٦هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي؛ تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نعيم فاضل ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي؛ تحقيق أحمد خراط ٠- ط٢ ٠- دمشق : دار القلم، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- ذيل مولد العلماء لأبي محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني (ت ٤٦٦هـ)؛ تحقيق عبدالله أحمد سليمان الحمد ٠- ط١ ٠- الرياض : دار العاصمة، ١٤٠٩هـ.
- زاد المسير في التفسير لابن الجوزي ٠- ط٣ ٠- بيروت : المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ .
- الزجاجي: حياته وآثاره ومذهبه النحوي، من خلال كتابه (الإيضاح) لمازن المبارك ٠- ط٢، دار الفكر، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- السبعة في القراءات لابن مجاهد؛ تحقيق شوقي ضيف٠- ط٢ ٠- مصر : دار المعارف، ١٤٠٠هـ.
- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي٠- ط٩ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)؛ تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ٠- ط١ ٠- دمشق : دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك؛ عناية إميل يعقوب ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- شرح التسهيل لابن مالك؛ تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون ٠- ط١ ٠- مصر : دار هجر، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- العِبَر في خبر مَن غبر، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)؛ تحقيق صلاح الدين المنجد ٠- ط٢ ٠- الكويت : مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م.
- العلل في النحو لأبي محمد بن عبد الله ابن الوراق؛ تحقيق مها مازن المبارك ٠- ط١ ٠- دار الفكر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)؛ تحقيق محمد عبد المعيد خان ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٣٦٩هـ.
- غريب الحديث لابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ)؛ تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- غريب القرآن لأبي بكر السجستاني؛ تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران ٠٠ دار قتيبة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- الفهرست لابن النديم (ت ٣٨٥هـ) ٠٠ بيروت : دار المعرفة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- في أصول النحو العربي لمحمود أحمد نخلة ٠٠ دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
- الكتاب لسيبويه؛ تحقيق وشرح عبد السلام هارون ٠٠ بيروت : عالم الكتب.
- الكشاف للزمخشري؛ تحقيق عبد الرزاق المهدي ٠٠ بيروت : دار إحياء التراث.
- اللامات لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)؛ بتحقيق شاكر الفحام. مطبوع مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. المجلد الثامن والأربعون. الجزء الرابع.
- اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن الشيباني الجزري ٠٠ بيروت : دار صادر، ١٤٠٠هـ.
- مجمع الأمثال للميداني؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد٠٠ بيروت : دار المعرفة : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي ٠٠ القاهرة، بيروت : دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي؛ تحقيق عبدالسلام عبد الشافي محمد ٠٠ ط١ ٠٠ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م
- المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٠٠ ط٢ ٠٠ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م .
- مسند الإمام أحمد٠٠ مصر : مؤسسة قرطبة.
- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس؛ تحقيق محمد علي الصابوني٠٠ ط١ ٠٠ مكة المكرمة : جامعة أم القرى، ١٤٠٩م.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي ٠٠ ط١ ٠٠ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري. تحقيق: مازن المبارك وعلي حمد الله ٠٠ ط٦ ٠٠ دمشق : دار الفكر، ١٩٨٥م.
- النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ٠٠ مصر : وزارة الثقافة.
- النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (ت ٦٠٦هـ) ؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ٠٠ بيروت : المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.
- الوافي بالوفيات للصفدي؛ تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ٠٠ دار إحياء التراث.